

شيخ مكة

قُمْ لَيْلَةَ الذِّكْرِ لَهْ إِجْلَالًا وَأَفِضْ لَهُ دَمْعَ الوفا شلالًا

وانشد له حتى الصباح قصائدًا آيات حُبِّ لِحْنُهَا يتعالى

واهجر منامك، فالعيون مدامعٌ عبرى، فصاح النوم منك مُحالًا

واسكُبْ فؤادك ملاءً أقداحِ الجوى وأدره، يُطْلَعُ أنجمًا وهلالًا

هي ليلةٌ قد عافها خيرُ الورى ومضى لبابِ الشكو الحالا

قد هُدَّ رُكني والقوى، يا سيدي من موتِ «عمران» الذي لك آلا

قد كان كهفي والملاذُ ومَن حمى يا ربِّ دينك حيثُ صالَ وجالا

ومضى يُقَدِّمُ، يا إلهي، ولُدِّهْ للذَّبِّ لا ينفكُ عنه نِضالًا

يمشي على دربٍ تعبٍ باللطى ويقولُ: حُبِّنا في الإلهِ تعالى

ولأجلِ خاتمِ رُسُلِهِ خيرِ الورى مَن فيه أنوارُ الإلهِ تلالًا

ومعًا ربَّننا البَطْنَ جوعًا سيدي ومعًا تَلَقَّينا أذىً وقِتالًا

أُؤْلَمُ أنْ أبكى دمَّنا لمصابرِهِ وأُفِيمُ مَأْتَمَ فَقْدِهِ أحوالًا؟

فبحجمِ كُلالِ الفاجِعَاتِ إِخالُهُ فَقْدُ النصيرِ وكُلالِها تتوالى

أ وما كفى ففدي «خديجة» مَن لها في القلبِ عرشٌ ترتقيه دلالا؟

قد كان، يا ربِّي حِمَايَ وناصري ويذُودُ عني يَمَنَةً وشِمَالا

ربِّناهُ فارحمْهُ وعظِّمْ شأنَه وانشرْ عليه في الحسابِ طِلالا

واجعلْ له الجنَّاتِ أجراً سيدي وأذِقْهُ كوثرَها المَعِينِ زُلَلا

هذا هوَ الفادي الرسولِ ومَن لَه دمعُ النُبوةِ والإمامةِ سالا

هذا أبو الأحرارِ «عمران» الذي وفَّى، وكانَ إلى التُّقاةِ مثالا

أ يُقالُ عنه قُضِيَ ولَمْ يؤمَّنْ بِمَن خَلَقَ السَّماءَ وثبَّتَ الأَجبالا؟

وجزاؤُه في النارِ ضَحْضاحٌ بِهِ تَغلي دِماهُ ويشتكى الأهوالا!

يا ليتَ شعري هل تَمسُّ النارُ مَن * أصفى الإلهُ عليه منه جلالا!

الكاشفُ الكُرباتِ عن طه ومَن فدَّاهُ عُمُراً عَزَّةً وعبالا

فلمَن، إذاً، تلكَ الجنانُ وبردُها؟ ومَن الحَقيقُ تَرى بذاك مَنالا؟

ساويتُموهُ والذي «تَبيَّتْ» يدا هُ» وزدتموه لعنةً ووبالا

يا ويحكمُ هذا الذي نصرَ الهُدى ونبيَّه، وبركُله صِدقٍ قال:

«وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ بِرَأْسِ دَرِينٍ مُّحَمَّدٍ مِّنْ خَيْرِ أَدْيَانِ السَّمَاءِ كَمَا لَالَا

بَا شَيْخٍ مَّكَتَّةً، قَدْ وَفَيْتَ فَهَذِهِ حُورُ الْجِنَانِ سَعَتٌ إِلَيْكَ وَصَالَا

وَبَلَّغْتَ أُلْفَقَ الْهَدْيِ وَالتَّقْوَى فَهَذَا قَدْ صِرْتَ بَدْرًا يَسْتَفِيضُ جَمَالَا

وَتَزِينُ أُلْفَقَكَ أَنْجَمٌ قَدْ صِغْتَهَا سَيَطَّلُ فِيْنَا هَدْيُهَا يَتَلَالَا